مِنْ أَمْجَادِ الْجَزَائِرِ

(1962 - 1830)

سِلْسِلَة تَارِيخِيَّة ثَقَافِيَّة تَصْدُرُ عَنْ وَزَارَة الْمُجَاهِدِينَ

الشَّهِيد

دَبِّيح شَرِيف

1957 - 1926

منشورات المتحف الوطني للمجاهد

تصدير

تصدر هذه السلسلة التاريخية المخصصة للشهداء الرموز الذين يزخر بهم تاريخ المقاومة والثورة التحريرية، لتنير أمام الأجيال ولاسيما الشباب معالم درب النضال والجهاد الذي شقه ملايين الشهداء الأبرار بدمائهم الزكية، وعبدوه بأجسادهم الطاهرة ليكون معبرا للجزائر ولشعبها إلى الحرية والاستقلال.

تعد هذه السلسلة مساهمة من وزارة المجاهدين في بناء الذاكرة الجماعية وإثرائها، تعزيزا للجهود التي ما فتئت الدولة الجزائرية تبذلها من أجل الحفاظ على الهوية الوطنية، ودعم تواصل الأجيال وتلاحمها.

أرجو أن يجد الشباب الجزائري في هذه السلسلة ما يروي عطشه لمعرفة تاريخ بلاده وتضحيات شعبه خلال المقاومة والثورة التحريرية التي تعتبر مرحلة هامة في تاريخه المجيد.

محمد الشريف عباس

وزير المجاهدين

حقوق التأليف والنشر محفوظة للمتحف الوطني للمجاهد 2009

ر . د . م . ك : 978-9961-884-45-4
الإيداع القانوني : 2009-5879

المتحف الوطني للمجاهد

ص .ب 168 – المدنية – الجزائر
الهاتف : 00.213.021 . 66. 92. 08 – 65 . 45. 06
الفاكس : 00.213.021 . 66 . 91 . 54

BP 168 EL - MADANIA - ALGER
TÉL : 00.213.021.66. 92.08-65.45.06
FAX:00.213.021.66.91.54

البريد الإلكتروني :Email: mnm@museenat-moudjahid.dz

الشهيد

دبيح شريف

1926 - 1957

وَصَلَتْنِي -ذَاتَ صَبَاحٍ مَاطِرٍ- رِسَالَةٌ قَصِيرَةٌ عَبْرَ الهَاتف المَحْمُول، تَقُولُ كَلِمَاتُهَا: "الآنَ تَحَقَّقَ الحُلْمُ؛ لَقَدْ وَصَلْتُ إِلَى الجَزَائِرِ العَاصِمَة؛ أَجَلْ، لَقَدْ وَصَلْتُ، كَمْ اشْتَقْتُ إِلَى زِيَارَةِ أَرْضِ الشُّهَدَاءِ! كَمَا اشْتَقْتُ إِلَيْكَ كَثِيراً يَا صَدِيقِي".

صديقك "أبو الفِدا"

كُنْتُ فِي غَايَةِ السَّعَادَةِ وَأَنَا فِي طَرِيقِي لاسْتِقْبَالِ ضَيْفِي الدُّكْتُور أَبُو الفِدَا، ذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي يَنْبِضُ قَلْبُهُ بِحُبِّ الجَزَائِرِ، وَهَا هُوَ ذَا يَزُورُهَا. طَلَبْتُهُ عَبْرَ الهَاتفِ لأَتَأَكَّدَ منْ مَكَانِ تَوَاجُدِه، فَرَدَّ عَلَيَّ قَائِلاً: أَنَا الآنَ بِمَكْتَبِ الأُسْتَاذِ

عَبْدِ اللَّهِ بِشَارِعِ (شَرِيفْ دبِّيحْ) بِالعَاصِمَةِ.

قُلْتُ: مَرْحَبًا بِكَ فِي الجَزَائِر، سَأكُونُ عِنْدَكَ بَعْدَ نِصْفِ سَاعَةٍ. عِنْدَ اللِّقَاءِ تَعَانَقْنَا طَوِيلاً، وَبَعْدَ تَبَادُلِ التَّحِيَّةِ وَالسَّلاَمِ. رُحْنَا نَتَجَاذَبُ أطْرَافَ الحَدِيثِ عَنِ الأهْلِ وَالأحْبَابِ. وَفَجْأةً غَيَّرَ أَبُو الفدَا مَجْرَى الحَدِيثِ بِالسُّؤَالِ الآتِي: هَلْ يُمْكِنُكَ أنْ تُحَدِّثَنِي عَنْ تَسْمِيةِ هَذَا الشَّارِعِ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ؟

قُلْتُ: لِتَعْلَمْ يَا صَدِيقِي، إنَّ هَذَا الشَّارِعَ مَا يَزَالُ شَاهِداً عَلَى أَحْدَاثٍ تَارِيخِيَّةٍ، وُلِدَتْ مِنْ رَحِمِ الثَّوْرَةِ؛ لَقَدْ كَانَ مَعْبَراً لِلمُجَاهِدِين يُؤَدِّي إِلَى أعَالِي الجَزَائِرِ

العَاصِمَة، بِالإِضَافَة إِلَى ذَلِكَ فَهُوَ يَتَقَاطَعُ مَعَ العَدِيد مِنَ الشَّوَارِعِ الأُخْرَى، وَيَرْبِطُنَا بِالحَيِّ العَتِيق "القَصَبَة"، كَمَا يَرْبِطُنَا بِحَيِّ "بَابْ جْدِيدْ" المُؤَدّيين إِلَى حَيّ الأَبْيَارِ.

أَطْلِقَ عَلَى هَذَا الشَّارِعِ اسْمُ الشَّهِيد (شرِيفْ دبّيح) مُخَلِّدًا لِذِكْرَاهُ؛ بِحَيْثُ كَانَ هُوَ وَرِفَاقُهُ يُخَطِّطُونَ لِعَمَلِيَّاتِهِمْ ضِدَّ العَدُوِّ المُحْتَلِّ، وَمِنْ هَذَا الشَّارِعِ يَنْطَلِقُونَ بِاتِّجَاهِ الأَحْيَاءِ المُجَاوِرَةِ حَتَّى لاَ يَنْكَشِفَ أَمْرُهُمْ.

قَالَ الدُّكْتُورُ أَبُو الفِدا: فَهَلاَّ عَرَّفْتَنِي بِقِصَّةِ هَذَا الشَّهِيد؟

سَكَتَّ بُرْهَةً مِنَ الزَّمَنِ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ:

لاَ شَكَّ أنَّ هَذه التَّفَاصيلَ تُوجَدُ عنْدَ صَديقي المُحَامِي عَبْدِ اللَّهِ لأنَّهُ مِنْ سُكَّانِ هَذِهِ الجِهَةِ.

وَهُنَا شَرَعَ الأسْتَاذُ عَبْدُ اللَّهِ فِي سَرْدِ قِصَّةِ الشَّهِيدِ قَائِلاً:

هُوَ شْرِيفْ دَبِّيحْ المَدْعُو "سِي مُرَادْ"، مِنْ مَوَالِيدِ 10 ماي عَام 1926 بِالجَزَائِرِ العَاصِمَةِ، مِنْ أسْرَةٍ مُحَافِظَةٍ. الْتَحَقَ (شْرِيفْ) بِالمَدْرَسَةِ الابْتِدَائِيَّةِ الفَرَنْسِيَّةِ، وَنَظَرًا لصُعُوبَةِ الحَيَاةِ وَضَنكِ العَيْشِ، تَرَكَ مَقَاعِدَ الدِّرَاسَةِ فِي سِنٍّ مُبَكِّرَةٍ لِيَتَوَجَّهَ إِلَى الحَيَاةِ العَمَلِيَّةِ، لَكِنْ لَمْ تَخْمُدْ فِي صَدْرِهِ جَذْوَةُ حُبِّ العِلْمِ وَالمَعْرِفَةِ، فَانْضَمَّ إِلَى صُفُوفِ الكَشَّافَةِ الإِسْلاَمِيَّةِ، الَّتِي

كَانَتْ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ الْمَدْرَسَةَ الْحَقِيقِيَّةَ الأَصِيلَةَ، الَّتِي اكْتَسَبَ فِيهَا حُبَّ الْوَطَنِ، وَالتَّحَلِّي بِالأَخْلاَقِ السَّامِيَةِ النَّبِيلَةِ.

وَقَدْ عَايَشَ عَنْ قُرْبٍ وَشَاهَدَ أَبْنَاءَ وَطَنِهِ وَهُمْ يَرْزَحُونَ تَحْتَ وَطْأَةِ الظُّلْمِ وَجَبَرُوتِ الْمُسْتَعْمِرِ، فَتَأَلَّمَ كَثِيراً. وَبَعْدَ مَجَازِرِ الثَّامِنِ مَايِ 1945، ازْدَادَ قَنَاعَةً بِأَنَّ: «مَا أُخِذَ بِالْقُوَّةِ لا يُسْتَرَدُّ إِلاَّ بِالْقُوَّةِ»، مِمَّا دَفَعَهُ إِلَى الالْتِحَاقِ بِصُفُوفِ "حِزْبِ الشَّعْبِ الْجَزَائِرِي"، ثُمَّ "حَرَكَةِ الانْتِصَارِ لِلْحُرِّيَّاتِ الدِيمُقْرَاطِيَّةِ" بَعْدَ ذَلِكَ، وَهُوَ لَمْ يَتَجَاوَزِ الْعَقْدَ الثَّانِيَ مِنْ عُمُرِهِ. وَقَدْ اسْتَطَاعَ بِفَضْلِ نُضْجِهِ السِّيَاسِيِّ الْمُبَكِّرِ، وَاسْتِقَامَةِ سُلُوكِهِ، وَنُبْلِ أَخْلاَقِهِ تَنْظِيمَ

العَديد منْ أبْنَاء الشَّعْب، وَهَيْكَلَتهمْ في صُفُوف خَلاَيا حَركَة الانْتصَار للحُرِّيَّات الدِّيمُقْرَاطِيَّة بالأحْيَاء الشَّعْبِيَّة.

عُرفَ الشَّهيدُ بَيْنَ عَنَاصر الخَليَّة الَّتي كَانَ يَنْشَطُ فيهَا بالجدِّ وَالانْضبَاط، وَالتَّضْحيَّة وَحُبِّ الوَطَن، وَلذَلكَ اخْتيرَ لأَنْ يَكُونَ عُضْوًا في صُفُوف الْمُنَظَّمَة الخَاصَّة (L’OS) عنْدَ ظُهُورهَا عَام 1947، حَيْثُ بَرْهَنَ منْ جَديد عَلَى قُدْرَته وَحنْكَته في مَجَال التَّعْبئَة وَالتَّنْظيم، ذَلكَ مَا أهَّلَهُ لأَنْ يُصْبحَ منْ بَيْن العَنَاصر النَّشيطَة وَالبَارزَة في مُسْتَوَى خَلاَيَا الجَزَائر العَاصمَة، فَأسْنَدَتْ إلَيْه الْمُنَظَّمَةُ مَسْؤُوليَّةَ الإشْرَاف وَالتَّوْجيه عَلَى الْمُنْتَسبينَ إلَيْهَا، لتَأطيرهمْ

تَحْتَ الإِشْرَافِ العَامِّ لِلشَّهِيدِ (مُرَاد ديدوش)، الَّذِي أوكَلَ إِلَيْهِ العَدِيدَ مِنَ المَهَمَّاتِ دَاخِلَ العَاصِمَةِ، فَقَامَ بِهَا عَلَى أَحْسَنِ وَجْهٍ.

اسْتَرْجَعَ صَدِيقِي عَبْدُ اللَّه أَنْفَاسَهُ بُرْهَةً، وَهُوَ يَسْتَمِعُ إِلَى سُؤَالِ الدُكْتُور أَبُو الفدَا: أَلَمْ يَتَفَطَّن البُولِيسُ السِّرِّيُّ الفَرَنْسِيُّ لِنَشَاطِهِ؟

قَالَ الأُسْتَاذُ عَبْدُ اللَّه: بَعْدَ اكْتِشَافِ المُنَظَّمَةِ الخَاصَّةِ عَامَ 1950، تَعَرَّضَ "شْرِيفْ دَبِّيح" مِثْلَ بَقِيَّةِ رِفَاقِهِ إِلَى المُطَارَدَةِ وَالمُلاَحَقَةِ المُسْتَمِرَّةِ مِنْ قِبَلِ البُولِيسِ الفَرَنْسِيِّ، وَذَلِكَ مَا جَعَلَهُ يَسْتَجِيبُ لِتَوْجِيهَاتِ مَسْؤُولِهِ المُبَاشِرِ

الشَّهيد مُراد ديدوش الَّذي أمَرَهُ بمُغَادَرَة التُّرَاب الوَطَنيّ مُؤَقَّتًا، باتِّجَاه فَرَنْسَا. بَعْدَ أنْ تَحَصَّلَ عَلَى وَثَائِق هُويَّة تَحْملُ اسْمًا غَيْرَ اسْمه الحَقيقيّ "مراد"، تَمَكَّنَ منَ الخُرُوجِ دُونَ أنْ يَتَفَطَّنَ لَهُ بُولِيسُ العَدُوِّ. وَهُنَاكَ وَاصَلَ شريف دبِّيح نضَالَهُ السِّيَاسِيّ وَالتَّنْظيمي وَالتَّعْبَوِيِّ وَسَطَ العَديد منَ الجَزَائريّين المُهَاجرينَ، وإنْشَاء العَديد منَ الخَلاَيَا النَّشطَة الَّتي امْتَازَتْ عَنَاصرُهَا بالحنْكَة وَالكَفَاءَة في تَنْفيذ المَهَامِّ المُسْنَدَة إلَيْهَا. اسْتَمَرَّ شْريف دَبِّيح في نضَاله تَحْتَ لوَاء حَركَة الانْتصَار للحُرِّيَّات الديمُقْرَاطيَّة، الوَاجهَة الجَديدَة لحزْب الشَّعْب، وَذَلكَ إلَى

غَايَـةِ عَام 1953.

وَاصَلَ الأسْتَـاذُ عَبْدُ اللَّه حَديثَهُ قَائلاً: عَـادَ شْـريف دَبِّـيح إِلَى أرْضِ الـوَطَن بَـعْدَ أنْ قَضَى فَتْرَةً منَ الزَّمَن بفَرَنْسَا، وَمُبَاشَرَةً اسْتَـأنَفَ نَشَاطَهُ السِّيَاسِيّ وَالتَّعْبَوِيِّ بعَزِيمَةٍ قَوِيَّةٍ بمَعيَّة مَجْمُوعَة منْ رفَاقه المُنَاضلينَ، امْـتَـدَّ إِلَى عـدَّة أحْـيَـاءَ منَ الجَـزَائـر العَاصمَة، حَيْثُ وَظَّفَ التَّجْرِبَةَ وَالخِبْرَةَ اللَّتَيْنِ اكْتَسَبَهُمَا خلاَلَ الثَّلاث سَنَوَات الَّتي قَضَاهَا بفَرَنْسَا في هَذَا المَيْدَان. لَقَدْ أشْرَفَ شْريف دَبِّيح منْ جَديد بمَعيَّة بَعْض أعْضَاء المُنَظَّمَة الخَاصَّة بالعَاصمَة عَلَى إعَادَة لَمِّ شَمْل القَاعدَة النِّضَاليَّة، وَتَجَاوُز أزْمَة الصِّرَاع الدَّائر يَوْمَئذٍ في هَرَم قيَادَة

الحَركَة بَيْنَ الفَريقَين الْمُتَصَارعَيْن، وَالعَمَل عَلَى وَضْعِ أسُسٍ وَمَنَاهِجَ مُحَدَّدَةٍ لتَحْضير وَإعْدَاد القَوَاعد المَادِّيَّة وَالمَعْنَويَّة اسْتعْدَاداً لانْطِلاَقِ الثَّوْرَة.

شَرَعَ شْريف دَبِّيح في تَكْوين خَلاَيَا الْمُنَاضلينَ، مُنْذُ مَطْلَع عام 1955، وَسُرْعَانَ مَا بَرَزَ نَشَاطُهُ في المَيْدَان السِّيَاسيّ وَالعَسْكَريِّ في الأحْيَاء الشَّعْبيَّة ذَات الكَثَافَة السُّكَّانيَّة الكَبيرَة، حَيْثُ بَدَأت العَمَليَّاتُ الفدَائيَّةُ تَحْدُثُ يَوْميّا، وَذَلكَ مَا دَفَعَ العَدُوَّ إلَى تَشْديد الْمُرَاقَبَة وَالحصَار عَلَى نَشَاطَات شْريفْ دَبِّيح، الأمْرُ الَّذي أجْبَرَهُ عَلَى الاخْتفَاء منْ جَديد، وَمُغَادَرَة العَاصمَة بِاتِّجَاه الجَبَل،

وَخَاصَّةً بَعْدَ اعْتِقَالِ قَائِدِ الْمَنْطِقَةِ الرَّابِعَةِ رَابِح بِيْطَاط فِي فِيفري 1955، غَيْرَ أَنَّ مَصَالِحَ الْعَدُوِّ ظَلَّتْ تَتَرَصَّدُ أَخْبَارَهُ وَتَحَرُّكَاتِهِ.

ظَلَّ شْرِيف دَبِّيح فَتْرَةً بِالْجَبَلِ قَبْلَ أَنْ يَعُودَ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى الْعَاصِمَةِ سَنَةَ 1956 بِاعْتِبَارِهِ الْمَسْؤُولَ السِّيَاسِيَّ وَالْعَسْكَرِيَّ، لِقِيَادَةِ الْعَمَلِ الفِدَائِيِّ الَّذِي عَرَفَ تَطَوُّرًا وَنَشَاطًا مُكَثَّفًا تَمَيَّزَ بِالدِّقَّةِ وَالْقُوَّةِ وَالتَّرْكِيزِ. مِمَّا وَسَّعَ دَائِرَةَ الثَّوْرَةِ وَعَمَّقَ جُذُورَهَا، وَجَعَلَ أَبْنَاءَ الْجَزَائِرِ الْمُخْلِصِينَ يَلْتَحِقُونَ بِصُفُوفِهَا بِأَعْدَادٍ مُتَزَايِدَةٍ أَغْلَبُهُمْ مِنَ الشَّبَابِ.

وَإِلَى جَانِبِ إِشْرَافِهِ عَلَى التَّوْجِيهِ

السِّيَاسِيّ، كَانَ لَهُ دَوْرٌ آخَرُ تَمَثَّلَ فِي إِنْشَاء شَبَكَات الدَّعْمِ وَالإِسْنَاد، وَصنَاعَة الْمُتَفَجِّرَات الَّتِي اسْتُخْدِمَتْ لضَرْب أَهْدَاف العَدُوِّ الاقْتِصَادِيَّة وَالاجْتِمَاعِيَّة، رَدّاً عَلَى أَعْمَاله الإِجْرَامِيَّة ضدَّ الْمُوَاطِنِينَ الأَبْرِيَّاء. وَقَدْ بَرْهَنَتْ تِلْكَ العَمَلِيَّاتُ الجَرِيئَةُ عَلَى عَبْقَرِيَّة الرَّجُل وَحنْكَته، وَدِفَاعه الْمُسْتَمِيت مِنْ أَجْلِ اسْتِقْلَالِ الجَزَائِرِ.

وَهُنَا تَدَخَّلَ الدُّكْتُورُ أَبُو الفِدَا قَائِلاً:

إِنَّ هَذَا البَطَلَ مِثَالٌ لِلتَّضْحِيَّة وَالفِدَاء؛ تُرَى كَيْفَ كَانَتْ نِهَايَتُهُ فِي ظِلِّ وَحْشِيَّةِ الْمُسْتَعْمِرِ البَغِيضِ؟

قَالَ الأُسْتَاذُ عَبْدُ اللَّه: بَعْدَ حَيَاةٍ حَافِلَةٍ

بِالعَمَلِ الثَّوْرِيّ وَالنِّضَالِ المُتَوَاصِلِ سِيَاسِيّا وَعَسْكَرِيّا، سَاهَمَ شْرِيف دَبِّيح إِلَى حَدٍّ كَبِيرٍ فِي تَوْسِيعِ نَشَاطِ الثَّوْرَةِ وَتَرْسِيخِ قَوَاعِدِهَا فِي أَوْسَاطِ الشَّعْبِ، وَشَاءَ القَدَرُ أَنْ يَفُوزَ بِالشَّهَادَةِ مَعَ بَعْضِ رِفَاقِهِ مِنَ الفِدَائِيّينَ فِي حَيِّ القَصَبَةِ، وَذَلِكَ يَوْمَ 26 أوت 1957 وَهُمْ يَقُومُونَ بِمَهَامِّهِمْ، حَيْثُ حَاصَرَتْهُمْ قُوَّاتُ المظَلِّيِّينَ دَاخِلَ مَنْزِلٍ، بَعْدَ أَنْ أَبْلَوْا بَلاَءً حَسَنًا فِي المُقَاوَمَةِ.

عِنْدَمَا تَوَقَّفَ عَبْدُ اللَّه عَنِ الحَدِيثِ، تَنَهَّدَ الدُّكْتُورُ أَبُو الفِدَا وَقَالَ: تَصْلُحُ قِصَّةُ هَذَا الشَّهِيدِ أَنْ تَكُونَ فِلْمًا سِنِمَائِيّا أَوْ عَمَلاً رِوَائِيّا كَبِيراً، كَيْ تَعْرِفَهَا الأَجْيَالُ القَادِمَةُ.

عَبْدُ اللَّه: إنَّ الفَتْرَةَ القَصيرَةَ الَّتي عَاشَهَا شْريف دَبِّيح وَهُوَ يُنَاضِلُ وَيُخَطِّطُ لِرَفْعِ الظُّلْمِ عَنْ وَطَنِه، وَتَوْسِيعِ نِظَامِ الثَّوْرَةِ وَدَفْعِه إِلَى الأَمَامِ، كَانَتْ حَافِلَةً بِكُلِّ مَا يُمْكِنُ أنْ يُصَنَّفَ فِي سِجِلِّ البُطُولاَتِ وَالتَّضْحِيَّاتِ وَقِيَمِ المَجْدِ، الَّتِي حَقَّقَ الشَّعْبُ الجَزَائِرِيُّ بِهَا حُرِّيَّتَهُ وَاسْتِقْلاَلَهُ. وَاليَوْمَ حِينَمَا نُقَدِّمُ للأجْيَالِ هَذِه الشَّخْصِيَّةَ وَنَسْتَعْرِضُ جَانِبًا مِنْ حَيَاتِهَا، إِنَّمَا نَهْدِفُ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ إِلَى أَنْ نُبَيِّنَ لَهُمْ أنّ آبَاءَهُمْ حَقَّقُوا لَهُمُ المَجْدَ وَرَسَمُوا لَهُمْ طَرِيقَ المُسْتَقْبَلِ، تَارِكِينَ لَهُمْ المَبَادِئَ وَالقِيَمَ المُثْلَى الَّتِي يَجِبُ أنْ يَسْتَمِرُّوا فِي الدِّفَاعِ عَنْهَا وَالنِّضَالِ مِنْ

أجْلِهَا. لأنَّ شْرِيفْ دبِّيح مَا هُوَ إلاَّ وَاحِدٌ مِنْ أولْئِكَ الأبْطَالِ الَّذِينَ صَنَعُوا مَجْدَ الجَزَائِرِ، ورَسَمُوا لِمَنْ يخْلُفُهُمْ نَهْجًا وَاضِحًا يُؤَدِّي بِمَنْ يَسْلُكُهُ إِلَى حَيَاةِ العِزَّةِ وَالكَرَامَةِ.

المجد والخلود لشهدائنا الأبرار